ثلاجة رضوان

في إحـدى الليالي الباردة، اجتمع رضوان مـع ولديه وابنته وزوجته، في المجلـس، بالقرب مـن المدفأة الكهربائية التي اشـتراها منـذ أكثر من عشر سنوات بالتقسيط، والتي ما زالت تعمل بشكل مقبول نوعاً ما، مع إصدار صوت مزعج اعتادوا عليه.

سألته ابنته الصغرى:

- متى سيأتي آخر الشهر يا بابا؟!

يضحكون جميعاً من سؤالها؛ لأنهم يعرفون ماذا تريد.

يجيب رضوان:

– بعد ستة أيام... ولماذا تسألين؟!

– لكي تشتري لنا الثلاجة ذات اللون الفضي.

– أما زلتِ تصرّين عليها؟!

– نعم.

– ولمَ؟!

– لأنها كبيرة وأستطيع أن أختبئ فيها عندما ألعب مع إخوتي.

يضحك الجميع. ويجيب الأب مبتسماً وبنبرة حزينة:

– لكنـي لا أسـتطيع شراءها، فهي باهظـة الثمـن... والجمعية التي اشـتركتُ فيها مُشـترطاً أن أتسـلمها أولاً ووضعت فيها أكثر من نصف الراتب، ستسـتمر ما يقارب السنة من أجل أن أشتري ثلاجة أصغر منها بكثير؛ ولكني سأحقق رغبتكِ بأن تكون فضية اللون!

تعطلت ثلاجته التي اشـتراها قبل زفافه، والتي ما عادت تعمل نهائياً وأصبحت غير قادرة على العطاء.

سنة كاملة ورضوان يضع أغراض البيت، من خضروات وفواكه ولحم وسمك، في أكياس سوداء، ويوزعها على ثلاجتَي جاريّه بالتناوب.

اليوم سيتسلم راتبه، بالإضافة إلى مبلغ الجمعية، وسيشتري ثلاجة متوسطة الحجم. ومن شدة فرحته، لم ينتظر كثيراً، فقد استأذن للخروج من العمل باكراً، وأخذ سيارة (بيك آب) وذهب بها إلى السوق فوراً.

كانت الشوارع مزدحمة، والفوضى عارمة في كل أرجاء المدينة، وعلى مداخل السوق هناك لجان شعبية بزعم حماية الوطن، تمنع السائقين من المرور وتجبرهم على العودة، كما أجبرت أصحاب المحال على إغلاق محالهم.

عاد رضوان إلى البيت خائباً، آملاً أن تنتهي هذه الأزمة وتعود الحياة في المدينة إلى طبيعتها.

يوم بعد يوم والوضع يزداد سوءاً، تزداد الاشتباكات في الشوارع، بين اللجان الشعبية ورجال الأمن، ويزداد الأمر خطورة.

بدأ الناس بشراء احتياجاتهم من المواد الغذائية بكميات كبيرة. استغل التجار الوضع ورفعوا الأسعار، وأخفوا العديد من المؤن من الأسواق، ليبيعوها بأسعار مضاعفة.

اضطر رضوان، بعد أن توقفت الدائرة الحكومية التي يعمل بها عن العمل وظل ملازماً للبيت، أن يشتري بنصف قيمة الثلاجة ما يلزم من موادّ غذائية (سكر ودقيق ورز وسمن... ألخ)، وكالعادة، وضع ما

اشـتراه من (خضروات، ولحـوم، وبيض، وحليب ... الـخ) في أكياس سوداء وحملها ولداه وزوجته ليوزعوها على جيرانه.

عاد زوجتـه وولداه حاملـين الأكياس وخائبـين، فثلاجات الجيران مليئة بالمواد الغذائية الخاصة بهم.

ظلت الأكياس مكدسة في المطبخ حتى تعفنت.

طالت الأزمة، وتـم قطع التيار الكهربائي عن المدينة، لفترات طويلة جداً، وخاصة في الليل.

ولأن رضوان وأسرته كانوا يعتمدون على المدفأة الكهربائية في الليالي القارصة، فقد ازداد الوضع سوءاً وخطورة.

ظـل رضوان حائـراً ما الذي عليـه أن يعمله. أخذ مـا تبقى من ثمن الثلاجـة، وذهب بـه إلى أحد جيرانه معروف عنه قدرته على التسـلل إلى خارج المدينة لشراء احتياجات الناس الضرورية وبأسعار مضاعفة جداً. أعطاه ما بحوزته من نقود لكي يشـتري له بطانيات وحطباً وفحماً، طالباً منه أن يبحث له عن مُولِّد كهربائي مستعمل وبسعر مناسب.

قبيل الفجر، ذهب المُهَرِّب ومعه قوائم الطلبات الخاصة بسكان الحي، انطلق بسيارته (الهايلوكس) في الظلام... ولم يعُد!

2015 /7 /5